مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب م ١٢ ، ص ص ٣٠٧ - ٣٤٧ (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)

حلقات العلم في الحرمين الشريفين ودورها في صياغة المعطيات الثقافية والفكرية "حقبة القرون ١٢-١٣-١٤ الهجرية"

عاصم حمدان علي الغامدي

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية كلية الآداب - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

مستخلص. عرفت الحضارة الإسلامية والعربية بجمعها بين متطلبات المادة والروح ، والعقل والوجدان ، ولهذا لم تعرف هذه الحضارة في منطلقاتها وأصولها تنافرا أو جفوة بين الدين والعلم ، وبالتالي بين علوم الشريعة وفنون الفكر والأدب والابداع بكافة مناحيه ، مادام هذا الابداع ساعيا للارتقاء بالنفس الإنسانية وتهذيبها وتقويمها ، ولقد عملنا في هذا البحث للتدليل على تلك الصلة الوثيقة بين دوائر العلم المختلفة وفنونه المتباينة من خلال أهم المؤسسات العلمية في تاريخ هذه الحضارة ونقصد بها حلقات العلم في الحرمين الشريفين ، فنجد الشخصيات العلمية وقد التقت في رحابها العلوم المتصلة بالشريعة وعلوم الأدب دون أن تشعر هذه الشخصيات بشيء من الغضاضة عند ابداعها للشعر او روايتها له ، وأن هذا التكامل مطلب هام في ظل المعطيات الحضارية والفكرية التي تعيش أجواءها المعاصرة أمتنا الغنية بتراثها والتي لا تخشى في الوقت نفسه من الآخر لامتداد ما تملكه من تراث إنساني عبر عصور التاريخ المتلاحقة.

وقد تدرج هذا البحث في محاوره التي تثبت أيضا دور القلب النابض في هذه الحضارة بإمداد جميع حواضر العالم الاسلامي والعربي باشعاعات العلم والمعرفة وان هذا القلب او المركز ونعني به مكة المكرمة والمدينة المنورة قد امتزجت فيه الافكار والرؤى من جميع مراكز العلم الأخرى

التي تأسست في ظل هذه الحضارة فيما ينفي عن أجواء العلم والمعرفة الحقيقية روح الانغلاق أو مبدأ إقصاء الآخر الذي يعتبر طارئا على جوهر ديننا وحضارتنا وفكرنا ، وكما كان للرجل حضوره في بناء هذا الكيان المتكامل دينيا وعلميا وأدبيا فإن المرأة والتي تمثل قوة فاعلة في بناء المجتمع وتطويره كان لها أيضا نصيب وافر في نشر العلم والمعرفة وخصوصا في العصور التي شهدت تراجعا في المد الحضاري والفكري ، وكان من الانصاف ان ندلل على هذا الدور ونتبين ملامحه وآثاره وشواهده.

تمهيد

لا شك أن مفاهيم التقارب الفكري ومحاولة توضيح الآثار السلبية للتطرف والغلو ونشر ثقافة التسامح ، هي من أساسيات شرعنا الإسلامي الحنيف ، إلى إنه يفترض فينا مصارحة أنفسنا ، فقبل أن ندعو ونجتهد ونتطلع للحوار مع (الآخر) المختلف حضاريا وفكريا وثقافيا ، والذي أمرتنا آيات الذكر الحكيم بأن نقدم له أي للأمم الأخرى في الأرض ، هذا الدين وتعاليمه بالرفق والموعظة الحسنة ، يجب أن نفتح باب الحوار مع (الذات) مع بعضنا البعض ، وعلى خلفية من الاحترام والتقدير المتبادل .

وأعتقد أن قيم الحضارة الإسلامية والعربية نشأت في ظلال الدين الإسلامي الحنيف ، هذه القيم العظيمه تحث على هذا الحوار والفهم الضروريين ، ولولا هذه السعة الموجودة في الأفق الحضاري في عصور الإسلام الذهبية ما كان الفكر الإسلامي على وجه التحقيق قادرا على أن ينتشر بهذه الصورة السريعة والشاملة عالميا .

فنحن مدعوون أن نحسن الظن بإخواننا المسلمين ، والأساس الذي بنيت عليه العلاقات الاجتماعية والإنسانية في الشرع الإسلامي الحنيف هو (حسن ظن المسلم بأخيه) . وبالعودة إلى كتب الأحاديث النبوية الشريفة نجد عشرات الأحاديث التي تدعو إلى هذه المنقبة الهامة وهي إحسان الظن بالأخ المسلم وتقديمه على ما سواه . وبما أن الحرمين الشريفين يمثلان - بتاريخهما العلمي العريق - منطلقاً للثقافة الإسلامية والعربية الفاعلة والمعتدلة .

كما أنها تشكل من خلال هذه الثقافة تراث حضاري وعلمي وفكري يفترض إبرازه فقد حاولنا من خلال هذه الدراسة التعرض بشيء من التفصيل لهذه القضايا ، حتى لا تظل في عمومياتها المطلقة – ولهذا اخترنا حقبة القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الهجرية رغم تأخرها الزمني للحديث عند الدور الذي أدته حلقات الحرمين الشريفين إصلاحياً وثقافياً وفكرياً ، فعلى الرغم من أن هذه العصور ، شهدت انحساراً في المد الحضاري الإسلامي – إلى أن مراكز الثقافة الإسلامية ، وخصوصاً في مكة المكرمة والمدينة ظلت تؤدي هذا الدور بكل فاعلية . ولقد كان لمنزلة هاتين المدينتين المقدستين في نفوس المسلمين أثر كبير في هذه الفعالية . فالنزوح إليهما من جميع أقطار العالم الإسلامي والعربي على مر العصور لطلب العلم ابتغاء مرضات الله ، نتج عنه تمازج وتقارب شديدين بين النازحين إليها ، كما أن هناك سمات أساسية في البيئة العلمية لهذه الديار المقدسة ظلت حاضرة عبر التاريخ . وهذه السمات ترجع جذورها إلى العهد النبوي الراشد والعهود الإسلامية اللاحقة ، ولقد ورد في القران الكريم من الآيات ما يدل على هذه السمات المرتبطة بالإيمان بالله تعالى والقيام بما يترتب على هذا الإيمان من هجرة وحسن إيواء وأخوة في سبيل الله . ومن هذه الآيات ما ورد في سورة الأنفال في قوله عز وجل ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجهدوا في سبيل الله ، والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزقكريم﴾ الأنفال آية ٧٤ . وورد في موضع آخر من كتابة الكريم ﴿والذين تبوءو الدار والإيمـن من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون﴾ الحشر آية ٩ ، وامتدح عز وجل في الآية اللاحقة من سورة الحشر القوم المؤمنين الذين ساروا على نهجهم ﴿والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخوننا الذين سبقونا بالإيمـن ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ الحشر آية ١٠ .

وقام العلماء في هذه الديار المقدسة – بعيداً عن أعراقهم وأشكالهم . وأحوالهم الدنيوية حيث وحدهم الإسلام تحت رايته التي يتساوى في ظلها العربي والعجمي

والأسود والأبيض والفقير والغني - قاموا بدور رائد في تلقي العلم والحفاظ عليه والتأدب بأخلاقياته ونشره بين أمم الأرض جميعا.

ومما يحسن التنبيه إليه أن عدداً من المجاورين ، في العصور التي حاولنا في هذه الرسالة أن نأتي على شيء من نماذجها العلمية ، قاموا بدور علمي رائد في إنشاء المؤسسات العلمية في مكة والمدينة وما جاورهما .

ولا تزال مدارس الصولتيه والفلاح والعلوم الشرعية ودار العلوم وغيرها شاهدة على هذا الدور الإنساني النبيل النابع من عقيدة الإسلام الصافية .

ولقد عملت الدولة السعودية السنية على احتضان هذه المؤسسات وآزرتها بكل السبل والوسائل لتستمر في أداء رسالتها ، كما عملت على تحديث مناهجها العلمية والتربوية .

لقد أعطت حلقات العلم في الحرمين الشريفين لهؤلاء المجاورين الشيء الكثير فحاولوا أن يبرهنوا على حبهم للعلم وأهله ، فكان هذا التبادل والتأثير في العطاء العلمي والمعرفي .

كما حاولنا في هذا البحث الإلمام بشيء من دور المرأة في الحياة العلمية والثقافية . فلقد كانت المرأة - التي كرمها الإسلام وصانها من التبـــذل ، وحفظ لها حقوقها في حياة كريمة و آمنة حاضرة بقوة ، وتمثل هذا الحضور بنشرها العلم عن طريق الرواية وإنشاء ما عرف بالزوايا والكتاتيب العلمية التي تكتسب أهميتها من كونها جاءت في زمن تعرضت فيه الأمة لشيء من التخلف العلمي والحضاري ، فعملت المرأة العالمة على مساندة الرجل فى النهوض بالأمة علمياً و حضارياً و فكرياً، ثم تم التوسع في تعليم المرأة لتحتل مكانة علمية رفيعة في جميع التخصصات و الميادين .

هذه توطئة لدراسة حاولت أن تلقي بعض الضوء علي بعض المعطيات الثقافية الفكرية ـ و التي كانت عاملاً هاماً في نهضة الأمة علمياً و حضارياً ـ وصلة هذه المعطيات بالبيئات الأصلية للثقافة الإسلامية في الحرمين الشريفين ، التي انطلقت منها

أيضاً إشعاعات المعرفة لحواضر العالم الإسلامي و العربي ، مما يؤكد على عمق الصلة بين مراكز الثقافة الإسلامية وتأتي هذه الدراسة في ثلاثة محاور:

الأول- يتحدث عن نماذج من حلقات العلم في الحرمين الشريفين ودورها الإصلاحي في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر هجرية .

الثاني- يتحدث عن المعطيات الثقافية والفكرية المرتبطة بهذه الحلقات العلمية .

الثالث- يتحدث عن دور المرأة في نشر العلم الشرعي بالمدينتين المقدستين .

*وخاتمة تحاول إيجاز ما قامت علية الدراسة من أسس وتعرضت له من محاور .

أولاً : حقبة القرن الثاني عشر الهجري

جال في خاطري الكتابة في موضوع هام وهو موضوع تعرضت له الندوة السنوية التي نظمتها وزارة الحج العام ١٤٢٣هـ تحت مسمى (مكة عاصمة للثقافة في العالم العربي والإسلامي) وهذا الموضوع يتمحور أساساً حول كتب الإسناد والمسلسلات العلمية التي أهتم بتدوينها العلماء .

وتتضمن هذه الوثائق العلمية الهامة : ما يشير إلى تلك الصلات الوشيجة بين علماء العالم العربي والإسلامي ، فهذه الكتب تؤكد أنه لم تكن يوماً قطيعة في الفكر، ولا جفاء في التعامل ولا انفراداً آحادياً في الرأي العلمي ، فمن خلال تتبعي لمدة زمنية - تدخل ضمن اهتماماتي الفكرية والأدبية - لاحظت ظهور عالم كبير في المدينة المنورة في القرن الحادي عشر هجري - هو الشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني (١٠٢٥- ١١٠٣هـ) : (لاحظوا .. كلمة كوراني .. هذا إنسان مسلم ، وعلى وجه التحقيق لم يكن عربياً) ، ولقد تتلمذ الكوراني على أحد العلماء المجاورين - والذين كان لهم دور في نشر الثقافة الإسلامية - وهو الشيخ احمد بن محمد بن صفي الدين الدجاني القشاشي المتوفى سنة (١٠٧١هـ - ١٦٦١م) .

ويذكر الزركلي [1] أنه كان يفتي في المذهبين المالكي والشافعي . والى زمن

قريب كانت هناك منطقة تقوم في المدينة المنورة بين زقاق الطيار والسيح ، والطريق إليها عن شارع المناخة المعروف ، تحمل اسماً مأخوذاً من لقب هذا العالم وهو((القشاشي .. وهذا فعل حضاري)) .

وقد درس (الكوراني) بالمسجد النبوي وتلقى ، العلم عنه عدد كبير من أبناء الأمة الإسلامية - لأنه من أصحاب السند العالي والموثق في علم الحديث الشريف ، ثم خلفه في الدرس العلمي ابنه الشيخ محمد أبو الطاهر الكوراني (١١٣٤- ١١٩٦ هـ) وقد أخذ العلم عن هذا الأخير العالم الإصلاحي المعروف - في شبه القارة الهندية - احمد بن عبد الرحيم - المعروف بشاه ولي الله الدهلوي (١١١٤ - ١١٧٦هـ) ، والذي خلف كتاباً هاماً في مفهوم الاختلاف بين العلماء ودوره في إثراء الفكر الإسلامي ، وهو (الأنصاف في مسائل الخلاف) [٢] وفي الثبت الخاص لشاه ولي الله الدهلوي (الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد) ، يروي عن أبي الطاهر الكوراني المدني ، وعن محدّث مكة المشهور سالم بن عبدالله البصري المتوفي ١١٣٤هـ ونجد ، أي الدهلوي ، قضي ما يقرب من سنتين في الحجاز (١١٤٣ - ١١٤٥هـ) [٣] .

ونتابع رحلة العلم فيبرز عالم آخر في القرن الثاني عشر الهجري ، وهو خريج مدرسة الحديث السابقة والتي من أعلامها أبو الطاهر الكرواني أبو الحسن بن عبدالهادي السندي .. هذا العالم الحجة هو الشيخ محمد حياة السندي توفي في ٢٦صفر ١١٦٣هـ ، ولعله من المفيد أن أنقل شيئاً عن دور الشيخ السندي في تكوين الاتجاه الإصلاحي عند فضيلة الشيخ محمد عبدالوهاب وذلك عن أستاذ التاريخ المعروف الدكتور عبدالله العثيمين ، يقول مؤرخنا : " أما محمد حياة السندي فكان حجة في الحديث وعلومه ، وصاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل ، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية متعددة " ، ويؤكد الدكتور العثيمين أثر الشيخين محمد حياة السندي ، وعبدالله بن يوسف الشمري وهذا الأخير من أهل المجمعة وسكن المدينة ودرس بها ، على الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله) لا بالنسبة ، لتحصيله العلمي فقط ، وإنما

بالنسبة لاتجاهه الإصلاحي [٤] .

ويذكر الكتاني [٥] أن الشيخ ابن عبدالوهاب أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصري، وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني وعبداللطيف الأحسائي ومحمد العفالقي ، وفي (الحطة) أنه أخذ عن عبدالله بن إبراهيم النجدي تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي مما يؤكد تعمق الشيخ محمد عبدالوهاب (رحمه الله) في علم الحديث والذي أخذه من رواته الثقات والمعتمدين في الحقبة التي عاش فيها .

ولقد كان للأثر العلمي والفكري لبيئة المسجد النبوي الشريف العلمية على هذه الشخصية ، انعكاسات هامة نلاحظها في الرسالة التي دونها الشيـــخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) ودعاها بـ(الرسالة المدنية في بهاء الألوهية) ، يؤكد فيها على الغاية التي خلق الله لها جميع عباده وهي عبادته وحده .

ولم يضق صدر الشيخ الداعية بآراء المخالفين له في بعض المسائل العلمية ، فنجده يتسلم رداً من الشيخ محمد أبي السعود الشرواني المدني ، المتوفي : سنة (١٢٣٠هـ - ١٨١٤م) . والغريب أن هذه الرسالة موجودة على صورة مخطوطات في مكتبة (جون ريلاندز بمدينة مانشستر البريطانية) [٦] .

من يقرأ - بتمعن وفهم وعمق - رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله) سواء تلك التي كتبها لأهل المدينة المنورة بعد ، إقامته فيها متعلماً ودارساً ، أو رسائله الإصلاحية الأخرى ، ومنها رسالته البالغة الأهمية لأهل القصيم والتي يتبرأ فيها مما نسب إليه من أقوال لا تتفق في مضمونها مع الإجماع الشرعي وتوضيحه لمنهجه الوسطي والمعتدل في كثير من الأمور التي يقع فيها الاختلاف - وخصوصاً في تلك الحقبة الماضية - يقول في إحدى رسائله العلمية تلك : ثم لا يخفى عليكم أن رسالة سليمان ابن سحمان قد وصلت إليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي فمنها : قوله : إني مبطل كتب المذاهب الأربعة وإني أقول إن الناس من ستمائه سنة

ليسوا على شيء ، وإني أدعي الاجتهاد وإني خارج عن التقليد ، وإني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفر من توسل بالصالحين وإني أكفر (البوصري) لقوله : يا أكرم الخلق ، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب . وإني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وإني أكفر من حلف بغير الله ، وإني أكفّر ابن الفارض وابن عربي ، وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين ، وأسميه روض الشياطين ، وجوابي عن هذه المسائل ، أن أقول ((سبحانك هذا بهتان عظيم)) وقبله من بهت محمداً صلى الله عليه وسلم ، أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين ، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، قال تعالى ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾[٧]النحل آية ١٠٥ .

وتسرى الروح الوسطية والمعتدلة ولمنضبطة بشرع الله كذلك في رسائل ابنه العلامة الشيخ عبدالله بن محمد عبدالوهاب ومنها رسالته التي كتبها بعد دخول الإمام سعود (رحمه الله) مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ . جواباً لمن سأله عما يعتقدونه ويدينون الله به[٨].

هذه الرسائل وغيرها توضح المنهج الحقيقي للدعوة الإصلاحية السَّلفية من انضباط شرعي وتسامح وسعة أفق ، والبعد عن التسرع في الحكم على عقائد الآخرين أو سلوكياتهم ، واحترام لاجتهاد العلماء السابقين من أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم ، وتأدب مع مقام النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وآل بيته - رضوان الله عليهم أجمعين - وهذه الروح التي تحدثنا عنها بالأدلة والبراهين العلمية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ، أن الدعوة الإصلاحية في أصولها الحقيقية هي دعوة لاجتماع كلمة المسلمين وتقاربهم وتآلفهم وليس تلك الصورة المشوهة التي يحاول أعداء هذه الدعوة إلصاقها به، كما أن بعضاً من أصحاب الفهم القاصر والرؤية الآحادية والحرفية يسعى لإلصاق نفسه بهذه الدعوة الإصلاحية إلصاقاً بينما لا يمثل في حقيقة الأمر شيئاً من سلوكياتها وأدبياتها العلمية ، ولهذا فالمسافة شاسعة ينهم وبين أصول ومبادئ أهل السلف .

ثانياً : حقبة القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري

إذا ما بلغت بنا الرحلة العلمية القرن الثالث عشر الهجري نجد أن العلم في الحرمين الشريفين ترتبط فيه العلوم الدينية بالعلوم الفكرية والأدبية : والأمثلة على ذلك كثيرة .

ومن أبرز الشخصيات العلمية في هذا المنحى العلمي والفكري الهام الشيخ عبدالجليل بن عبد لسلام برادة المدني المتوفي سنة (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م) حيث يتحدث عنه الأديب والناقد السيد عبيد عبدالله مدني (رحمه الله) فيقول : " كان عبدالجليل برادة من أبرز أعلام المدينة المنورة علماً وأدباً ووجاهةً ، وازدوجت في شخصيته سمات من الفضائل متعددة الجوانب والشكول ، ولم ينحجز صدى سمعته بين ساكني المدينة وحدها بل ولا في الحجاز - وحده - فقد تجاوزتهما إلى آفاق أبعد مدى فدوت في الأوساط الإسلامية وتردد ذكره في مجتمعات العلم وأندية الأدب ، والشخصيات المبرزة لا تعرف معنى للإقليمية المحددة " (٩) .

وبالرجوع إلى كتب الإثبات وأسفار الإسناد العلمي الموثق نجد أن قول السيد عبيد مدني بأن البرادة كان شخصية معروفة في جميع الأوساط الإسلامية هو قول غير مبالغ فيه ، فهذا الشيخ عبدالحي بن عبدالكريم الكتاني يذكره في مشائخه الذين تلقى عليهم حديث المسلسل بالأولية فيروي عنه قائلاً (١٠) : " حدثني به أديب الحجاز الشاعر المفلق والمعمر الشيخ عبدالجليل بن عبد السلام برادة المدني سماعاً منه بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ " .

ولقد كان لبيئة المدينة المنورة العلمية وما تتميز به من خصائص حضارية أثره في احتضان المواهب العلمية المتميزة ودمجها في المجتمع - نفسه - بحيث تصبح جزءاً منه من ناحية ، وكذلك قدرتها على تهيئة الأجواء الملائمة لبروز أسماء لامعه تجمع بين العلم الشرعي ومناحي الفكر والثقافة المتعددة .

ونستطيع أن نبرهن على ذلك من خلال شخصية الشاعر المجدد ، رائد الشعر السياسي في جزيرة العرب ، إبراهيم بن حسن بن حسين الأسكوبي المدني (١٢٦٤ - ١٣٣١هـ) .

وقد دفع الشيخ الأسكوبي والذي كان فقيهاً حنفياً ، ضريبة انفتاحه على الأدب المعاصر في حقبة عرفت بشيء من التقليد والمحافظة ، وعدم القدرة على الخروج من أسرهما ، يقول الأستاذ المرحوم عبدالقدوس الأنصاري عنه : ((وليس الشيخ من أولئك العلماء النظامين الملتزمين إنه يعجبه البيان ممن كان وفي أي مكان كان، فيضفي عليه برود التقدير والثناء ، وقد ساعدته على هذا الخلق السمح طبيعته الاجتماعية المتوثبة من فن إلى فن .

وعلى هذه الوتيرة امتدح الشيخ سليمان البستاني اللبناني العري المسيحي صاحب ((الإلياذة)) و ((دائرة المعارف)) بمقطوعتين من أجود ما نظم ، لأنهما عبرتا عن خلجات نفسه الحساسة والطروب لنغمات الأدب من أية قيثارة أرسلت [١١] .

وكان عمل البستاني الذي اجتذب أنظار عالم المدينة المنورة وشاعرها ((الأسكوبي)) عملاً فكرياً وأدبياً هاماً ، بعد أن أشاح مترجمو العصر العباسي عن ترجمة الإلياذة لـ((هوميروس)) ، لأسباب متعددة ، فلقد قدم (البستاني) في ترجمته بمقدمة نقدية أتت في مائتي صحفه ، تناول فيها أهم مشاكل الأدب العربي بالنظر إلى الأدب العالمي والأدب اليوناني خاصة ، وقد جاءت في ستة أقسام : هوميروس حياته وشعره ، الإلياذة وموضوعها وصحة نسبها ،(التعريب وأصله) ، الإلياذة والشعر العربي ، الملاحم ، ملاحم الجاهليين العرب ، ملاحم الإفرنج ، فعل الحضارة وخاتمة تعبر عن نظرة إجمالية في مستقبل اللغة العربية وواجبات الشاعر إزاءها [١٢] .

وأجد أمثلةً متعددة (أيضاً) في بيئة مكة المكرمة العلمية حيث يمتزج الإبداع العلمي بالفكري والأدبي ، بعيداً عما شاهدناه في العصور المتأخرة من تجزئة ثقافية وهذه التجزئة هي غريبة وطارئه على الثقافة الإسلامية والعربية ، فنحن نجد في ترجمة الشيخ خليفة النبهاني (١٣٠١ - ١٣٧٠هـ) (١٣) ، بأنه إضافة إلى تخصصه في علوم الحديث والتاريخ ، فهو باحث في علوم الجغرافيا (وهو ما يسمى بتخطيط المدن) ، وكذلك علم الفلك الذي كان يدرس بالمسجد الحرام .

كما إننا نلاحظ أن تدريس المذاهب الإسلامية المتعمدة سمة حضارية أصلية في بيئة مكة المكرمة والمدينة المنورة العلميتين، فالمذهب الحنبلي كانت مرجعيته في آل حميد منذ القدم ولقد وجدت في بعض كتب الأسانيد المعتمدة، اسم الشيخ عبدالله بن حميد الشركي (مفتي الحنابلة بمكة)، ويبدو أن التشابه أو التماثل في أسماء الشخصيات العلمية أمر وارد، فلقد عرف الحرم المكي الشريف حلقة فضيلة الشيخ المجتهد عبدالله بن محمد بن عبد العزيز حميد (١٣٢٩ - ١٤٠٢هـ) (١٤)، والد فضيلة الدكتور صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى، إمام وخطيب المسجد الحرام، إلا أن المؤرخ عمر عبدالجبار يورد ترجمة لشخصية أخرى تحمل نفس الاسم وهو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي بن عثمان بن حميد مفتي الحنابلة بمكة (١٢٩٠ - ١٣٤٦هـ) ويذكر أنه ولد في القصيم، وقدم والده إلى مكة وأخذ العلم عن مشائخ مكة وعنيزة، وأنه تولى في عام ١٣٢٦هـ، الإفتاء وإمامة المقام الحنبلي فظل (رحمه الله) في منصب الإفتاء بجانب التدريس والإمامة إلى أول عهد الحكومة السعودية [(١٥)].

ولقد كان المذهب الشافعي هو الأكثر انتشاراً في مكة المكرمة ومن أعلامه المشهورين الشيخ محمد سعيد اليماني (١٢٧٠ - ١٣٥٤هـ) وابنه الشيخ حسن والد السيد أحمد زكي يماني، وكذلك من أئمته الشيخ حسين بن محمد حسين الحبشي العلوي .

ولا بد من الإشارة إلى أن السيد الفاضل أحمد بن حسين حبشي هو الذي أهداني مصورة للمخطوطة القيمة (الدليل المشير) [(١٦)]، وقد طبع هذا المخطوط، وقد اعتمدت في نقل هذه المعلومات من مصورة المخطوطة المذكورة.

ومن العلماء الذين اشتهرو بسعة علمهم الفقيه الشافعي الشيخ أحمد ناضرين (١٢٩٩ - ١٣٧٠هـ)، والسيد على بن عثمان شطا (١٢٨٨ - ١٢٤٩هـ) [(١٧)].

وقد أخذ السيد أحمد بن حسين الحبشي (رحمه الله) كثيراً من مروياته عن أحد أئمة الشافعية بالمدينة المنورة وهو السيد محمد زكي بن السيد أحمد بن إسماعيل بن

زين العابدين بن محمد الهادي بن حسن بن عبدالكريم بن محمد بن عبدالرسول الحسيني الشافعي المدني (١٢٩٤ - ١٣٦٥هـ) [١٨] .

وكان هذا التعاطي والتبادل في العلم أمر شائع في دائرة الفكر الإسلامي الأصيل ، وخاصةً وأن السيد زكي برزنجي الذي تبوأ منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة ، جاور بمكة المكرمة وعينه الملك - آنذاك - الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) رئيساً للمحكمة الشرعية بمكة المكرمة ، وظل بهذا المنصب القاضي حتى وفاته .

لكن شيوع المذهب الشافعي في بيئة مكة المكرمة العلمية لم يحل دون انتشار المذاهب الأخرى ، وقد كان لوجود مدارس علمية متخصصة مثل (الصولتيه) التي تأسست سنة ١٢٩٢هـ ، و ((الفلاح)) التي أسسها المصلح محمد علي زينل في سنة ١٣٣٣هـ ، أثر في نشر المذهبين الحنفي والمالكي ، فنجد في المذهب الحنفي مشائخ من أمثال الإمام عيسى بن محمد بن عيسى روّاس المكي الحنفي (١٢٩٢ - ١٣٦٥هـ) والشيخ محمد يحيى بن أمان عبدالله الكتبي الحنفي المولود بمكة المكرمة ١٣١٢هـ ، والشيخ سالم بن عبدالحميد شفي المولود بمكة عام ١٣٠٦هـ وتوفي بها كذلك ١٣٧٣هـ ، وممن أدركت في مطلع العمر من العلماء الأحناف بمكة فضيلة السيد محمد أمين كتبي ، والشيخ محمد مرداد وغيرهم وبرزت أسماء عدة في مدرسة الفقه المالكي مثل : المشايخ : محمد علي المالكي (١٢٨٧ - ١٣٦٧هـ) ، وجمال مالكي (١٢٨٥هـ - ١٣٤٩هـ) ، ومحدث الحرمين عمر حمدان المحرسي (١٢٩١ - ١٣٦٨هـ) .

ومع أن الكتب والدراسات التي تعرضت لحياته العلمية في مكة والمدينة ، ومنها الدراسة المستفيضة التي نشرها عنه الزميل الفاضل الدكتور رضا محمد صفي الدين السنوسي [١٩] تدعوه بـ(المحرسي) نسبةً إلى مدينة محرس في تونس ، إلا أن الباحث أحمد العيساوي من الجزائر يذكر أن نسبته هي المحرشي وليس المحرسي .

ومن المدرسة المالكية أيضاً الشيخ محمد العربي التباني (١٣١٥ - ١٣٩٠هـ) وهو من العلماء الذين أكرمهم الله بالإقامة في الحرمين المكي والمدني ، فهو يذكر في الترجمة

التي كتبها بخط يده ((وزودني بمصورتها فضيلة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان ، أنه وصل قادماً من تونس إلى المدينة سنة ١٣٣٢هـ)) ، ومن مشائخه فيها محمد بن خيرات الشنقيطي ، والعلامة المعروف عبدالعزيز الوزير التونسي .

وممن أدركت من أعلام المدرسة المالكية فضيلة الشيخ حسن ابن محمد المشاط (١٣١٧ - ١٣٩٩هـ) وفضيلة السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي المتوفي سنة ١٣٩١هـ ، وابنه المحدث فضيلة السيد محمد علوي المالكي وكذلك فضيلة شيخنا محمد نور سيف بن هلال والذي قرأت عليه في الحرم المدني سنة ١٣٩١هـ كتاب رياض الصالحين ، ثم في مكة وفي حلقته المعروفة بباب العمرة .

ولقد حفل الحرم المكي بشخصيات علمية مهمة من أمثال المشائخ محمد بن مانع ، ومحمد ياسين الفاداني وعبدالرزاق حمزة وعبدالمهيمن وعبدالظاهر أبو السمح وزكريا بيلا ، وعبدالله الخليفي وعبدالله اللحجي وإسماعيل الزين عبدالفتاح راوه وعبدالله البسام وصالح بللو وعبدالله خياط ومحمد الشعلان

ثالثاً : دور المرأة في نشر العلم الشرعي بالمدينتين المقدستين

كان دور المرأة في نشر العلم الشرعي ، وضمن إطار الالتزام بأحكام الشريعة، بارزاً في الحياة العلمية بالمدينتين المقدستين . ولقد ورد في مختصر كتاب (نشر النور والزهر) أسماء ما يقرب من عشرين امرأة متخصصة في علوم شتى . وفي (فهرست الشيوخ والأسانيد) للسيد علوي بن عباس مالكي ، نجد أن الشيخة أمة الله الدهلوية (١٢٥١ - ١٣٥٧هـ) ، (وكانت تسمى مسندة المدينة المنورة) هي ممن يروى عنها هذا العالم المعروف .

ويذكر فضيلة السيد محمد علوي المالكي الحسني أن والده (أي السيد علوي) أخبره بأنه ذهب إليها بصحبة شيخه عمر حمدان المحرسي في المدينة المنورة مع وفد من العلماء فأجازتهم وحدثتهم ، وتلقوا عنها بعض الأحاديث المسلسلة بشروطها .

وممن روى عنها : شيخنا حسن المشاط ، والمشائخ إبراهيم الختني المدني ، والسيد

أحمد بن صديق الغماري ، والشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ محمد خليل طيبة المكي ، والشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري والسيد محسن المساوى العلوي المكي .

وقد عرفت هذه الصفوة من العلماء بتمسكها الشديد بالشريعة وأحكامها ، إلا أن هذا لم يمنعهم ((وضمن إطار الضوابط الدينية والأخلاقية)) من أخذ العلم من هذه الشيخة الدهلوية المدنية والتي فرضت نفسها على البيئة العلمية .

سعى النساء من أهل العلم في الحقبة الماضية ، لمشاركة الرجال في إقامة دور العلم والمعرفة فهذه المحسنة والعالمة (صولة النساء) تشتري أرضاً بالخندريسة بحارة الباب بمكة المكرمة وتوقفها لبناء المدرسة التي عرفت باسم المدرسة (الصولتية) .

وأثناء حصار المدينة المنورة في حقبة الحاكم العسكري فخر باشا (الذي هجر أهل المدينة وتسبب في إيذائهم) عملت حفيدة شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بن إبراهيم عصمت الحسيني المولود (١٢٠٠هـ - ١٧٨٦م) والمتوفى سنة (١٢٧٢هـ أو سنة ١٢٧٥هـ) [٢٠] على الحفاظ على المكتبة التي تحتوي على أكثر من خمسة آلاف مخطوطة مهمة ونادرة .

وعندما طلب منها القائد فخري بأن تمنحه إذناً بنقل المكتبة إلى تركيا (حيث عمل على نقل كثير من النفائس الموجودة بالحرم النبوي الشريف في أثناء رحيله عنها بالقوة) إلا أن الحفيدة وفاءً لعمل جدها الذي أوقف المكتبة على العلم وأهله في المدينة ، وحرصاً منها على عدم ضياع هذه الثروة العلمية رفضت طلب فخري والذي كان معروفاً بغلظته وشدته [٢١] .

ويفيض الشيخ عبدالحي الكتاني في الحديث عن ((عارف حكمت ، فيقول : هذا الرجل هو أعلم علماء الآستانة في القرن المنصرم ، وكان له بعلماء العرب ارتباط كبير واتصال عظيم ، وكان له بالرواية اعتناء باهظ ، واستجاز من دونه في المراتب الدولية ولو بالمكاتبة)) [٢٢] .

وفي العصر الحديث وعندما تعرضت الأمة - بسبب حقبة التتريك - وما تلاها من الحقبة الاستعمارية - وكاد يتلاشى دور المرأة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين ، نجد أن المرأة تقوم بدور رائد من هذه الكتاتيب . وأشير هنا إلى أنموذج واحد من هذه الكتاتيب التي انتشرت في الجزيرة العربية عامة - وأرض الحرمين الشريفين خاصة ، إنه كتاب المعلمة زينب حسن مغربل ت : ١٤٢٠هـ .

وقد قامت ولم تتجاوز العقد الثاني من عمرها ، بافتتاح كتاب يحمل اسم (مدرسة الفوز والنجاح) وذلك في سنة ١٣٦٢هـ . وكان موقع المدرسة - أو كتاب (مغربلية) ، كما يعرفه أهل المدينة المنورة - في حي العنبرية قرب دكة الترجمان مقابل مبنى إدارة المالية سابقاً .

وقد أدركت هذا الكتاب مع نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات الهجرية . وفي هذا الكتاب كان يتم تدريس القرآن الكريم والتوحيد والفقه والمطالعة والحساب ، وبعض الأشغال اليدوية . وبلغ عدد تلميذاتها في إحدى السنوات مائة تلميذة ، إلا إنه تجب الإشارة إلى أن المعلمة مغربلية هي خريجة كتاب الخوجة ((فخرية هانم وفاطمة هانم)) وكان موقعه في حي (الشونة) المؤدي إلى الحرم النبوي الشريف.

وعندما رغبت المعلمة (فخرية) في الانتقال إلى مكة المكرمة وافتتاح كتاب لتعليم المرأة في البلد الحرام سنة ١٣٦٠هـ ، قررت الطالبة المتفوقة آنذاك حمل الرسالة وافتتاح الكتاب الخاص بها ، والذي ظل مستمراً في أداء رسالته العلمية حتى عام ١٣٨٢هـ .

ومعلوم أن التعليم الرسمي بدأ في بلادنا سنة ١٣٨٠هـ وبعد صدور مرسوم ملكي في عام ١٣٧٩هـ ، كما يشير إلى ذلك الدكتور على بن مرشد المرشد الرئيس العام لتعليم البنات السابق والذي اعترف في كتاب له صدر في سلسلة كتيبات المجلة العربية بدور الكتاتيب في تعليم المرأة حيث قال ((ومن خلال ذلك البحث الذي قامت به الرئاسة وجد أن هناك عدداً لا بأس به من الكتاتيب النسائية افتتحت قبل التعليم الرسمي للبنات)) [٢٣] ، ودعا الدكتور المرشد إلى توضيح دور هذه الكتاتيب في تعليم

المرأة وتثقيفها قائلاً :

((ولعله يحسن بالباحثين في كل مناطق المملكة للاطلاع على هذه المعلومات ورصدها ، استكمالاً للصورة الحقيقية لتعليم المرأة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى بداية التعليم الرسمي للبنات حيث إن كل من كتب عن تعليم البنات سواءً أكانت أبحاثاً أكاديمية ، أم مؤلفات خاصة لم يتطرق لتلك الصورة المشرفة لجهاد المرأة المتعلمة في تلك الحقبة من تاريخ بلادنا)) (٢٤) .

ولقد زودتني ابنتها المدرسة سميرة طه مغربل بترجمة مختصرة عن حياة والدتها ، وذكرت أنها استمرت في العمل التربوي حتى عام ١٤٠٥هـ ، مما يعني أن مسيرتها الرائدة في نشر العلم بالمدينة تجاوزت نصف قرن من الزمن . ويبدو أن الترجمة من إعداد والدتها في حياتها وهي مذيلة باسمها ((زينب حسن مغربل)).

الخصائص والمعطيات الثقافية والفكرية والأدبية

ويمكن استخلاص الخصائص والمعطيات الثقافية والفكرية مما ذكرناه عن العلماء في الحرمين الشريفين والدراسة الموجزة عن حياتهم العلمية وفقاً لما يلي :

أولاً : الأفق العلمي الواسع الذي كان يتمتع به العلماء . فتجد العالم أو طالب الدرس يأخذ من جميع المدارس الفقهية ، ولا يلتزم حرفياً بالمذهب الذي ينتمي إليه. وهذا محدث الحرمين الشيخ عمر حمدان يخالف معاصريه من علماء المذهب المالكي وخصوصاً في مسألة الإسبال في الصلاة ، وقد أخبرني بهذا شخصياً مقرؤه السيد عقيل حمدي (رحمه الله) .

ثانياً : الانتماء إلى الإسلام كهوية حقيقية للعالم أو طالب العلم ، فهذا الشيخ عبدالله مرداد، يورد في كتابه أسماء شخصيات علمية لا تجد بأساً ولا حرجاً من ذكر المواطن التي قدمت منها رغم إقامتها الطويلة بمكة ، مثل : يوسف البلقيني ويوسف البنقالي ويوسف الجبرتي ويونس الصعيدي ، ثم يضاف بعد هذه النسبة عبارة المكي أو المدني وذلك تشرفاً بالإقامة في أرض الحرمين الشريفين .

ثالثاً : تقدير العلماء بعضهم بعضاً بصورة تنم عن الأدب الرفيع والسلوك الإسلامي الرائع الذي يأتي تجسده حقيقة من خلال الإيمان بأن اختلاف العلماء في كثير من فروع الشريعة الإسلامية هو أمر طبيعي ولا يستدعي بالضرورة أي شكل من أشكال التعصب المقيت ، والإنحياز للرأي الشخصي دون سواه . فلقد كان مشائخنا من أمثال : السيد حسن المشاط والسيد علوي المالكي ، والذين ينتمون للمدرسة المالكية في الفقه إذا ما قاموا بزيارة لدور العلماء والمنتمين للمدرسة الشافعية كالسادة آل البار مثلاً ، حيث تنعقد حلقات علمية خاصة في علم الحديث الشريف أو يقومون كذلك في دورهم تلك بإعطاء دروس في الفقه الشافعي ، فإنهم يسعون لتقدير الفهم الشرعي لمضيفيهم . ونضرب مثالاً على ذلك بدعاء القنوت الذي يؤديه أتباع المدرسة الشافعية في صلاة الصبح ، فإذا ما دعي عالم من علماء المدرسة المالكية للإمامة بالناس هناك فإنه يسلك مسلك المدرسة الشافعية في هذا الباب تقديراً واحتراماً لنظرائهم ورصفائهم من أهل العلم .

ومما أرويه في هذا الباب أن شيخنا العلامة الفقيه المالكي السيد حسن بن محمد المشاط (١٣١٧ - ١٣٩٩هـ) كان إذا كتب إلى فضيلة الشيخ والفقيه الحنبلي عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء ((سابقاً)) (١٣٢٩ - ١٤٠٢هـ) مزكياً أحد طلبة العلم فإن الشيخ ابن حميد (رحمه الله) يعتبر تلك التزكية شهادة موثقة ومعتمدة . ولقد كتب إليه كما أعلم بشأن أحد طلابه وهو المرحوم إدريس بن عبدالله كنو وكان ملازماً له في آخر حياته ، والذي كان يتطلع لأداء المهنة الشريفة في الحرم المكي وهو الأذان . ومعلوم أن لهذه المهنة ضوابطها الخاصة بها ، فحقق الشيخ ابن حميد رغبة المرحوم ((الكنو)) ، وظل يرفع الأذان من الحرم المكي الشريف حتى أخريات حياته .

وحدثني فضيلة الشيخ محمد بن سبيل ((إمام وخطيب الحرم المكي)) بأن فضيلة شيخ القراء بالمدينة المنورة حسن بن إبراهيم الشاعر (١٢٩١ - ١٤٠٠هـ) قدم إلى مكة المكرمة في أواخر الثمانينيات الهجرية للعمرة وكان برفقته معالي الشيخ صالح قزاز

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي (الأسبق) ، وصلى صلاة العشاء - وصلى الشيخ الشاعر - خلف الشيخ ابن سبيل - حتى إذا ما انتهت الصلاة سعى إلى الشيخ ابن سبيل وقال له : لقد أجدت في قراءتك ، فعلق الشيخ القزاز قائلاً : هذه شهادة لك ياشيخ محمد . والمثال الرائع في هذه القصة التي رواها الشيخ ابن سبيل على مسمعي في داره ، هو سرور فضيلة الشيخ الشاعر بترتيل القرآن من إمام الحرم المكي وثنائه عليه ، وافتخار الشيخ السبيل بهذه الشهادة العلمية .

ومعلوم أن عدداً من أئمة الحرم النبوي الشريف وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح رحمه الله (١٣٢٨ - ١٤١٥هـ) والشيخ إبراهيم الأخضر ، وغيرهم قد حفظوا كتاب الله على يد هذا العالم الذي كانت تشد الرحال من جميع أنحاء العالم الإسلامي لأخذ علوم القرآن وأحكام التجويد عليه . وقد طبع كتاب الشيخ الشاعر (أحكام تجويد القرآن) عام (١٣٢٩هـ - ١٩١١م) في المطبعة العلمية بالمدينة المنورة (٢٥) .

رابعاً : جذبت الأجواء العلمية للحرمين الشريفين ، المعروفة بقوتها وزخمها وانفتاحها على جميع مدارس الفكر الإسلامي ، عدداً من العلماء الذين قدموا للاستزادة من العلم الذي كانت تتمتع به شخصيات علمائها . فنحن نجد أن الشيخ محمد رحمة الله (١٢٩١ - ١٣٠٨هـ) ، والذي اشتهر بمناظرته لرئيس البعثة التبشيرية بالهند واسمه فدرين وانتصر عليه في تلك المناظرة وعند وقوع الهند تحت الاستعمار الإنجليزي ، ثار الشيخ (رحمه الله) على هذه القوة البريطانية الغاشمة فصادر الاستعمار ممتلكاته فهاجر إلى مكة عام ١٨٥٧م ، وحصل عند وصوله إليها على إجازة للتدريس في المسجد الحرام . ويذكر أن من تلاميذه الشريف حسين بن على (أمير مكة) سابقاً ، وعبدالله سراج قاضي القضاء وعبدالرحمن دهـــان شيخ العلماء وغيرهم وعندما أبدت السيدة العظيمة المجاورة (صولت النساء) رغبتها في فعل أمر خيري بمكة المكرمة، أخبرها الشيخ بأنه لا ينقص مكة سوى مدرسة تعنى بتعليم أبناء المسلمين ، فعهدت إليه إنشاء المدرسة فاشترى رحمه الله قطعة أرض بحارة الباب وبنيت عليها المدرسة التي

حملت اسم تلك المرأة الجليلة ، وهي الصولتية والتي كانت بدايتها العلمية سنة ١٢٩٢م، ومازلت مستمرة في أداء رسالتها العلمية بالبلد الحرام [٢٦] .

ويصف المستشرق الهولندي (سنوك) (١٨٥٧ - ١٩٣٦م) الشيخ رحمة الله على خلفية كتابه (إظهار الحق) Izhar - Alhag [٢٧] بأن المؤلف معاد للنصرانية مما يعزز الشكوك حول شخصية (سنوك) وتوجهاته العقائدية والسياسية . ويضيف سنوك بأن مؤلف هذه المناظر التي انتصر من خلالها علميا محاوره (فدرين) يعيش في المنفى ، ويصعب تصور انطباق هذا الوصف على الشيخ رحمه الله ، فهو يعيش بعد خروجه من الهند في عاصمة الإسلام ، ولا يختلف أحد من وجهة الرؤية الإسلامية الحقيقية بأن مكة المكرمة هي بلد الله وحرمه الذي يحتضن المسلمين من جميع بلاد الدنيا بقطع النظر عن أجناسهم وألوانهم ، ولكن سنوك في الوقت نفسه يقرّ بأن الشيخ رحمه الله واحد من رجال العلم الذين كرسوا حياتهم لخدمة الهدف أو الغاية العلمية لذاتها المجردة وبالتالي فهو لا يتقاضى أجراً على الدروس العلمية التي يتلقاها طلاب العلم في داره الخاصة مشيراً إلى وجود نظراء له يتلقون مساعدات أو عائدات مالية من مؤسسات مدنية .

ولقد كتبت النسخة الأصلية من هذا الكتاب (مكة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي) باللغة الألمانية في مجلدين كبيرين وقد طبع في مدينة لاهاي (١٨٨٨ - ١٨٨٩م) والنسخة التي بين يدي باللغة الإنجليزية وقام بترجمتها القنصل السابق في جدة J.H. Monahanوهي تمثل كما يذكر المترجم الجزء الثاني من الكتاب ويعزو هذا التوجه نحو ترجمة هذا الجزء لاحتوائه معلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والعادات الخاصة بالمجتمع المكي ، من حيث الموضوعات المتصلة بالعائلة والزواج ، والوفاة كما يشير المترجم أن المؤلف (سنوك) راجع الترجمة الإنجليزية الصادرة كما أشرنا عام ١٩٣١م ويذكر عمر عبدالجبار [٢٨] :

((أن السلطان العثماني عبدالحميد استدعى الشيخ رحمه الله إلى إستانبول سنة ١٣٠٤هـ ، وأكرمه لجهاده ضد الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية وطلب منه ترجمة مناظرته إظهار الحق)) ، فتمت طباعتها وترجمت إلى عدة لغات وتراجم [٢٩] .

كما يشير د . عبدالرحمن صالح عبدالله : نقلاً عن عمر عبدالجبار أيضاً ((ولما تخرج الفوج الأول من علماء الصولتية زادت حلقات الدروس بالمسجد الحرام ، إذ عقد المتخرجون حلقاتهم في كل حصوة ورواق)) [٣٠] .

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من الدور العلمي الكبير الذي أدته المؤسسات العلمية التي أنشأها خيرة المجاورين في الحرمين الشريفين ، ومن أشهر هذه المؤسسات : الصولتية والفلاح والعلوم الشرعية بالمدينة المنورة والتي أسسها المرحوم السيد أحمد الفيض آبادي سنة ١٣٤٠هـ .

ومن الشخصيات العلمية البارزة التي استقرت لفترة في بلاد الحرمين الشريفين ، شخصية العالم اللغوي والأديب محمد بن محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي والمتوفي في مصر سنة (١٣٢٢هـ - ١٩٠٤هـ) فبعد أن قدم إلى مكة المكرمة مجاوراً ، انتقل إلى المدينة المنورة ولهذا فهو ينعت نفسه بالشنقيطي المدني المكي ، وفي ذلك تأكيد لما ذهبنا إليه خلال هذا البحث من تمكن الهوية الإسلامية والعربية عند أهل العلم وانتفاء الشعور السلبي عند ذكر البلد الذي ينتسب إليه الإنسان أصلاً ، ثم ذكر الأمكنة التي استقر فيها طالباً للعلم أو مخالطاً لأهلها ومجاوراً لسكنها .

وعند إقامته بالمدينة المنورة اختلفت مع بعض علمائها مثل السيد أحمد البرزنجي المتوفى (١٣٣٧ - ١٩١٩م) ، وكان الخلاف حول ما تضمنته رسالة السيد البرزنجي الموسومة :

((إصابة الداهي ، شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي)) وعبارة ((إن لم يجد إلاّ هي)) وردت في كتاب الموطأ للإمام مالك - إمام دار الهجرة - وفي باب النذور بالتحديد ، حيث قال إمام دار الهجرة : ((فمن نذر المشي فليمش ما قدر عليه ثم ليركب وعليه هدى بدنه أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلاّ هي)) ، فعلق الفقيه المالكي أحمد بن محمد العربي زروق على هذه العبارة الأخيرة من ناحية لغوية صرفية بقوله : ((حيث إن مقتضى القوانين العربية أن يقال : إلا إياها ، إذ الضمير مفعول إليه الفعل المعتدي وهو

(يجد) ، وهذا الخدش واضح التعليق بعبارة الإمام وهو رضي الله عنه ، وإن لم يكن من أرباب السليقة العربية الذين يلتزمون في كلاهم عدم الحيادة عن قوانينها بل إن مالك بن أنس من الأئمة الذين يحتج بأقوالهم دون استعمالهم ، لكن حمل كلام مثله على موافقة قواعد اللسان واجب ما أمكن)) .

ويبدو أن السيد البرزنجي دفعاً لتهمة التقليل من شأن الإمام مالك ، دفع بالسؤال إلى أحد علماء المذهب في عصره الذين قدموا للمدينة المنورة ، وهو الشيخ زروق ، وهذا الأخير بدوره أرسل إلى شيخه سالم بوحاجب التونسي ليسأله عن هذا الإشكال اللغوي والذي كشف السيد البرزنجي أن أول من أثار الكلام حوله هو أحد العلماء المجاورين بالمدينة المنورة ((الشيخ السيد حبيب الرحمن ابن السيد على اللكنوي ، الموسوي نسباً ، المدني مهاجراً)) .

ولهذا نجد أن حكمة السيد البرزنجي تدفعه لأن يورد في رسالة موجزة من تأليفه تناقش هذه القضية رأي علماء المالكية أولاً من أمثال الشيخ زروق وشيخه بوحاجب التونسي ، ثم يورد رأيه في الموضوع نفسه في الرسالة التي تضمنت مختلف الآراء والتي أسماها (إصابة الداهي شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي) ولقد طبعت الرسالة والتي أحتفظ نسخة منها بالمطبعة الرسمية التونسية سنة ١٣٠٩هـ . ونجد في الترجمة التي كتبها الزركلي للسيد برزنجي يورد اسم الرسالة مختلفاً كالتالي : (إصابة الدواهي في إعراب إلاهي) (٣١) .

وإذا كان الشيخ التركزي مثل بقية علماء شنقيط مالكي المذهب وكانت له صلاته بالسلطان العثماني (عبدالحميد) ، وأن السيد البرزنجي كان شافعي المذهب ، بل إنه كما ورد في ترجمته عند الزركلي قد تولى منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة ، كما انه انتخب نائباً عن البلدة الطّاهرة في مجلس النواب العثماني بإسطنبول .

إذا أخذنا جميع هذه الحيثيات ، سهل علينا تفهم دواعي تلك الحملة التي قادها التركزي ضد البرزنجي ورصيفه الشيخ عبدالجليل برادة وحمل حملاً عنيفاً كذلك على

منتداهم الأدبي في بستان الأبارية البرادية والذي كان يقوم قرب باب بقيع الغرقد بالمدينة المنورة، مدعياً في حماسته أنهم تجرأوا على تلحين الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) وذهب إلى حد بعيد في التعرض بغير وجه حق لنسب آل البرزنجي [٣٢].

نتج هذا التعاطي مع هذه القضايا، التي تدخل في باب الشكليات ولاتمس جوهر العلم أو تتعرض للمقدس من أمور الشريعة [٣٣]، دفع علماء المدينة للرد على الشيخ التركزي، فكتب السيد البرزنجي رسالة سماها (فتكة البراض بالتركزي المعترض على عياض) لأن التركزي في الوقت الذي دافع فيه عن الإمام مالك، خطأ أحد أعلام المذهب المالكي صاحب كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) وهو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي [٣٤]، ولد بسبتة سنة ٤٩٦هـ، وتوفي بمراكش ٥٤٤هـ وجاء رد التركزي في شكل قصيدة حادة سماها: (فتكة التركزي الناظم بالبرزنجي المدعي نسبة مزورة إلى موسى الكاظم) والقصيدة التي تجاوزت المائة من الأبيات الشعرية مثبتة في كتاب التركزي الذي أشرنا إليه (الحماسة السنية الكاملة المزية) القسم الثاني، ١٣ - ٢١.

ومن المآخذ على الشيخ التركزي تعرضه لأنساب الأسر المدنية وكان بإمكانه وهو صاحب فقه ودراية بمقتضيات الشريعة ألا يقحم النسب في قضايا علمية أشبعت بحثاً، ولكن يبدو أن خلاف العلماء يتجاوز أحياناً الحد المطلوب من الانضباط الخلقي ويدخل في متاهات تجر على أطرافها الكثير من العنت والمشقة. ولهذا الخلاف الحاد الذي وقع بين التركزي من جهة وعلماء المدينة (البرزنجي والبرادة) من جهة أخرى طلبت الحكومة التركية من التركزي مغادرة المدينة فرحل إلى مصر واتصل بالعالم المعروف (آنذاك) الإمام الشيخ محمد عبده. ولقد وجد التركزي في أحد علماء المدينة المنورة (آنذاك) وهو أمين بن حسن الحلواني المدني المتوفى (١٣١٦هـ - ١٨٦٨م) معاضداً مؤازراً وخصوصاً أن (الحلواني) اختلف هو الآخر مع بعض علماء المدينة المنورة في تلك الحقبة وذلك بعد تأليفه في سنة (١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م)، رسالةً ينكر فيها صحة

المخلفات النبوية . كما أصدر سنة ١٤١٢هـ رسالة تحت عنوان (السيول المغرقة على الصواعق المحرقة) (٣٥) ، ويذكر محب الدين الخطيب أن الكتاب رد على السيد أحمد أسعد المدني وهو من المنتمين إلى طريقة الشيخ أبي الهدي الصيادي ، ولكن الرسالة المذكورة لم تحمل اسم الحلواني بل اسما مستعاراً وهو عبدالباسط المنوفي [٣٦] .

ويشير المستشرق ((سنوك)) Snouck [٣٧] إلى توجه الحلواني المخالف للتوجهات الدينية السائدة (آنذاك) ، ولكنه (أي سنوك) يورد وجهة النظر المختلفة الأخرى والتي جاءت على لسان أصدقاء الشيخ مظهر المدني ، بأن كتابته ضد المخلفات النبوية هو نتيجة لعامل الحسد الذي يلاقيه الشيخ مظهر من أمين الحلواني :

ولقد كان لنزوح التركزي والحلواني أثره على حياتهما العلمية ، فلقد أقاما علاقة مع المستشرق السويدي الكونت (كارلو لاندبرج) Carlolandberg(١٨٤٨-١٩٢٤م) ، والذي تخصص في دراسة لهجات جنوب الجزيرة العربية [٣٨] .

وكان لاندبرج يشغل أيضاً منصباً رسمياً ، وهو سفير السويد والنرويج لدى مصر فـقُـدِّمت دعوة من ملك السويد والنرويج (أسكار الثاني) عن طريق السلطان العثماني عبدالحميد الثاني ، للشيخ محمود التركزي لحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في مدينة إستكهولم ، وكلف (لاندبرج) بالإشراف على متطلبات الرحلة . ولكن التركزي اشترط شروطاً عدة يجب تنفيذها من قبل الدولة العثمانية حتى يوافق على السفر ، ولكن عدم قدرة الدولة العثمانية على تحقيق بعض الشروط حال (كما يبدو) دون حضور التركزي ذلك المؤتمر ، ولكن حماسته نتجت عنها قصيدة يمدح فيها ملك السويد (أسكار الثاني) ، ويشيد بحبه للعلم حسب طلب السفير (لاندبرج) وقد بلغت أبيات القصيدة حوالي مائتي بيت على نسق الشعر العربي القديم [٣٩] .

ويبدو أن (لاندبرج) شجع الحلواني للسفر إلى ليدن سنة (١٣٠١هـ - ١٨٨٣م) ، وكان بصحبة الحلواني مجموعة مهمة من المخطوطات يبلغ عددها (٦٦٤) مخطوطة، فابتاعتها منه مكتبة ليدن الغنية بنفائس مخطوطاتها العربية [٤٠] .

ويذكر الباحث المتخصص في شؤون الاستشراق قاسم السامرائي أن جامعة برنستون بأمريكا اشترت قسماً من هذه المخطوطات (٤١) .

وأثمرت العلاقة العلمية بين الحلواني ولاندبرج ، بأن قام الآخر بوضع فهرس للمخطوطات التي جلبها الحلواني من المدينة المنورة عن طريق مصر إلى ليدن ، وكتب مقدمة له . وتحتوي مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر : على نسخة من هذا الفهرست :

John , Rylands , Libray of Manchester

والذي استطعت بمساعدة بعض الزملاء في جامعة مانشستر في أثناء دراستي بها (١٩٨٢ - ١٩٨٦م) . بالحصول على نسخة من هذا الفهرس الذي صنف باللغة الفرنسية ويحمل أسم :

Catalogue Danuscripts Arabes .

Provenantdune Bibliotheque Privee Ael - Medina .

Redige , par , Carlolandberg .

Leide - E . J . Brill 1883 .

((فهرس مخطوطات عربية مأخوذة عن مكتبة خاصة بالمدينة)) .

ثم عملت ترجمته بها من لغته الأصلية الفرنسية - التي كتب بها الفهرست - إلى اللغة الإنجليزية .

استطاع الحلواني أن يقدم في رحلته تلك لمؤتمر المستشرقين علاقة أيضاً مع المستشرق الهولندي ((سنوك هورقرونيه)) والذي قام هو الآخر برحلة معاكسة إلى مكة المكرمة في شهر فبراير عام ١٨٨٥م ، ودون خلال رحلته الشهيرة تلك كتابه (مكة المكرمة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي) .

من الملحوظات الجديرة بالدراسة هي اهتمام المستشرق الهولندي (سنوك) بالعلاقة العلمية بين علماء الحرم المكي الشريف والمؤسسات التعليمية في جنوب شرق آسيا

وخاصةً (إندونيسيا) ، وكانت الكتب المعتمدة في الثقافة الدينية في إندونيسيا هي تلك التي يعتمدها علماء مكة المكرمة في جميع التخصصات الدينية

ويذكر الدكتور مارتن فان برونسن [٤٢] أن أكثر هؤلاء العلماء تأثيراً هم أولئك الذين ازدهروا علمياً في مكة المكرمة ، في نهاية القرن التاسع عشر ، ومن هؤلاء أحمد زيني دحلان ، مفتي مكة المكرمة الشافعي خلال مكوث سنوك هورقرونيه هناك ، ثم معاصره السيد بكري بن محمد شطا .

وقد قمت بمكاتبة القيم على القسم الشرقي بمكتبة بريل ((لندن)) ، الباحث J.J.Witkam مستفسراً عن العلاقة بين الحلواني و(سنوك) التي ربما استثمرها الأخير في معرفته بالطريق المؤدي إلى الجزيرة العربية وإلى مكة خاصة – فأجاب (وتكام) ، أن مكتبة ليدن تحتفظ بصورة للشيخ الحلواني وعليها إهداؤه الخاص للمستشرق سنوك ، ولقد قام هذا الأخير بترجمة انطباعات صديقه الحلواني عن مؤتمر المستشرقين من اللغة العربية إلى اللغة الهولندية .

ولعل في الرسالة الموجهة إليّ بتاريخ ٦ يناير ، ١٩٨٦م من Witkam[٤٣] ما يجيب عن تساؤلات الدكتور قاسم السامرائي عما إذا كانت هناك علاقة بين الحلواني وسنوك ، ودور هذه العلاقة ، كما يذكر السامرائي ، في رحلة سنوك إلى جدة ومن ثم إظهاره الإسلام ، ودخوله مكة المكرمة .

لعل من الفيد أن نشير إلى أن خروج التركزي والحلواني من المدينة بسبب خلافاتهما الفكرية مع بعض علماء عصرهم ، قد فتح أمامهم أبواب مستقبل علمي جديد ، كان من ثمراته هذا الالتقاء العلمي والفكري بين الشرق والغرب ، على الرغم من كل الشكوك التي يثيرها البعض حول الدواعي الحقيقية لمثل هذه اللقاءات العلمية ، وعائدها الإيجابي على مستقبل الأمة الحضارية والفكرية كما أمّ الحرمين الشريفين في العقد الماضي الرابع عشر الهجري – عدد من مفكري النهضة العربية والإسلامية ومن هولاء الأمير شكيب إرسلان (١٢٨٦ - ١٣٦٦هـ) الذي اجتمع بعدد من علماء

المدينة المنورة في تلك المدة منهم حمدان بن الونيس وعبدالحميد بن باديس (١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ) (٤٤) الذي اجتمع بالعالم حسين أحمد الفيض آبادي المدني شقيق مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة السيد أحمد الفيض آبادي (٤٥) وقد سأل الشيخ حسين ابن باديس لماذا جئت هنا، ارجع إلى بلدك الجزائر . وكانت - آنذاك تحت الاستعمار لتعمل على تحريرها مع أبناء بلدك كما اتصل به أيضاً المصلح الجزائري البشير الإبراهيمي (٤٦) (١٠٣٦ - ١٣٨٥هـ) كما اتصل العالم المفسر جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ) بعالم المدينة آنذاك السيد أحمد البرنجي (٤٧)، ويبدو أن اجتماعه بالسيد البرزنجي ترك أثراً واضحاً في حياته العلمية حيث يذكر الزركلي ، بأنه بعد عودته من المدينة المنورة اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين فقبضت عليه الحكومة سنة ١٣١٣هـ وسألته في التهمة فأخلي سبيله (٤٨) .

ومن البلاد الأفريقية المسلمة نجد اسم العالم محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم الفوتي (٤٩) والذي كان يعد زعيماً لبني قومه بأفريقيا الغربية وقد استعين به في أثناء حصار المدينة المنورة من قبل الوالي التركي فخري باشا ، في تجنيد عدد كبير من أتباعه في الدفاع عن المدينة المنورة في تلك الحقبة .

وكانت له حلقة علم بالمسجد النبوي الشريف ، وقد اختاره المغفور له الملك عبدالعزيز عضواً بمجلس الشورى تقديراً لعلمه ومنزلته الاجتماعية (٥٠) .

ويشير فضيلة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان ، إلى التأثير الإيجابي لحلقات العلم في البلد الحرام في عديد من البلاد الإسلامية ومما يدخل ضمن هذا الجانب الهام تأثير حلقة فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط رحمة الله حيث أسس بعض طلابه أقدم مدرسة دينية بجزيرة أنفنان ، والتي أطلق عليها اسم مدرسة نهضة الوطن الدينية الإسلامية وذلك سنة (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) وتفرع عن هذه المؤسسة العلمية مدرسة أخرى للبنات أنشئت في عام (١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م) ، وسميت باسم مدرسة (نهضة البنات الدينية الإسلامية) ، ومن المدرستين تفرعت مدارس (جمعية نهضة الوطن) ، والآن فروعها أربعمائة مدرسة ما بين دينية وابتدائية وثانوية وعالية ومعلمين ومعلمات

وكليات ومعاهد دار القرآن والحديث . كما يشير الدكتور عبدالوهاب إلى دور بعض علماء البلد الحرام الذين يسافرون إلى أندونيسيا والملايو وغيرها ، ويخص بالذكر فضيلة المشائخ : عبدالله الزواوي وسعيد يماني وأبنائه الفقهاء المشايخ صالح وحسن ومحمد علي يماني ، وكذلك الفقيه القاضي أحمد بن عبدالله القاري وأخوه القاضي حامد بن عبدالله القاري ، وكذلك آل الرفيع والمالكي .

وقد وضح الدكتور أبو سليمان دور علماء مكة المكرمة وفقهائها في يقظة بعض دول العالم الإسلامي ، وإيقاد جذوة حركة التحرر فيها فالقرن الرابع عشر الهجري يتزامن مع عهد التخلف الفكري للمسلمين وتسلط القوى الاستعمارية عليهم ، وأنه بعد أن تحقق الاستقلال لهذه البلاد الإسلامية تولى عدد من الطلاب الذين تلقوا العلم في المسجد الحرام المناصب الهامة في حكومات بلادهم ، مما يدل دلالة واضحة على ما كان لدراستهم ومقامهم بمكة من حميد الأثر [٥١] .

خاتمة البحث

● أدت حلقات العلم في الحرمين الشريفين وفي حواضر العالم العربي والإسلامي الأخرى دوراً ريادياً وهاماً على مر العصور في نشر الثقافة الدينية في كل قطاعات المجتمع وإذا كانت هذه الحلقات تركز بدرجة أولى على علوم الشريعة الإسلامية ، إلا أن علوم الأدب واللغة بكافة ميادينها ، إضافةً إلى كثير من العلوم التطبيقية مثل الحساب والجبر والهندسة والفلك ، كانت حاضرة بصورة لافتة في منظومة العلوم والمعارف التي يتلقاها طالب العلم بين سواري المسجدين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة أو في الرواقات التي اشتهرت بها جامعات الأزهر الشريف وجامع القرويين وجامع الزيتونة ، والجامع الأموي - وغيرها من مراكز التحصيل العلمي والدرس المعرفي - ولقد انحسر دور بعض هذه المؤسسات العلمية في بعض العصور الماضية ولكن سرعان ما عادت الحياة إلى هذه المؤسسات ويعتمد ذلك بصورة أساسية على السياق الحضاري والفكري والاجتماعي ، إضافة إلى توفر المناخ العلمي الملائم الذي يؤمن باختلاف الرأي والتعامل مع الآخر في داخل الثقافة الإسلامية ، نفسها كعامل إيجابي في ثراء

الحركة العلمية والفكرية ، وليس كعامل سلبي يحجر على الآخر إبداء رأيه أو يحول دون نشر مقولته ، مادام ذلك يتم في إطار ضوابط الشريعة الإسلامية ومنطلقاتها الأساسية .

ولقد استطاعت هذه الثقافة أن تتفاعل مع الثقافات الأخرى دون أن تفقد خصوصيتها لأنها تحمل عوامل القوة الداخلية والقادرة على الحيلولة دون الذوبان في ثقافات أخرى دخيلة .

وبما أن الأمة الإسلامية والعربية تمر بظروف غير عادية وتحديداً في مجال الثقافة والفكر ، فكان لابد من العودة إلى المنطلقات الحقيقية لهذه الثقافة ، وما أدته من دور فاعل في صياغة المعطيات الثقافية والفكرية والأدبية على مر العصور ، وما ذكرناه في هذا البحث من شواهد وأدلة يوضح كيف تصرف رواد هذه الثقافة إزاء مسؤوليتهم سواء كانوا علماء يجمعون بين الثقافتين الدينية والفكرية ، أو أدباء ومفكرين انطلقوا أيضاً من أرضية هذه الثقافة الدينية وكيف عملوا جميعاً من خلال هذا الفهم العميق والأصيل والحضاري أن يذيبوا الحواجز المفتعلة بين ماهو ديني وما هي ثقافي ، وذلك يعود لسبب جوهري هو أن الحضارة الإسلامية والعربية نشأت في ظلال الدين ، ولم تكن هناك جفوة بين الدين والعلم كما هو الشأن في بعض الحضارات الأخرى التي تعمقت أطرها عوامل مادية بحتة أدت إلى انشطار عميق في حياة الفرد وتسببت في إقصائه عن مفاهيم العدالة والرحمة والشفقة بسبب رؤيته الأحادية للكون والمرتكزة على المنظور من عالم المادة .

ونلاحظ أيضاً من خلال صفحات هذا البحث كيف أن الدعوات الإصلاحية ، التي حررت الإنسان من الأوهام والأساطير والتي أشعرته في الوقت نفسه بقيمته الحقيقية ودوره الفاعل في عمارة هذه الأرض قد أنطلقت جذورها من حلقات العلم في الحرمين الشريفين .

فحركة شاه ولي الله الدهلوي في شبه القارة الهندية ، وكذلك الدعوة الإصلاحية

التي رفع رايتها الشيخ محمد بن عبدالوهاب من وسط الجزيرة العربية، وحركات الإصلاح الأخرى في دول المغرب العربي التي قادها علماء من أمثال المشائخ عبدالحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي وشكيب أرسلان. حاولت هذه الحركات الإصلاحية وغيرها أن تستمد تلك الجذوة المتقدمة لتحرير الأرض والإنسان من شخصيات علمية شهيرة، في الأراضي المقدسة، مما يوضح الصلة القوية بين مهد الرسالة والحواضر العلمية الأخرى في جميع بقاع الأرض وأن استمرار هذه الصلة يعد ضرورياً لبقاء اللحمة بين المؤسسات العلمية والثقافية والفكرية التي يزداد العبء عليها - خصوصاً - في هذه المرحلة التي يفتقر فيها الفرد العربي والإسلامي إلى شيء من وضوح الرؤية في عصر تحاول الأمم الأخرى فرض ثقافتها بصور وأشكال متعددة.

ولايعني - الالتفات أو التوجه إلى المنابع الحقيقية للثقافة الإسلامية والعربية والأصيلة والمتميزة بالاعتدال والوسطية - لا يعني، ذلك بأي حال من الأحوال، الانغلاق على الذات الذي يلحق ضرراً بالغاً بثقافة وفكر الإنسان العربي والمسلم، وهو نفس الضرر الذي يقوده إليه الانسلاخ من هويته الحضارية والفكرية.

وهذه المعادلة الصعبة، والتي لا تزال الأمة واقعة في شركها منذ نصف قرن من الزمن، يفترض معالجتها بالحوار الحضاري بين جميع التيارات والتوجهات الفكرية - داخل إطار البيئة العلمية للثقافة الإسلامية - فلا يمكن لأي أمة من الأمم أن تقود حواراً مع الآخر ما لم تحقق الحد الأدنى من المعطيات الثقافية والفكرية داخل بنيتها الذاتية.

ولقد ضرب القرآن الكريم - وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي - أروع الأمثلة في الاستماع لآراء الفكر الآخر - وحتى المختلف دينياً - ومحاورتها والرد عليها، كما أن في سلوكيات المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من اعتماد مبدأ الشورى وتبادل الرأي مع أصحابه - رضي الله عنهم - في كثير من الحوادث التي توضحها سيرته المباركة في أوقات الحرب والسلم على حد سواء، إضافة إلى تلك الأخلاقيات التي كانت تتبدّى حقيقة من خلال سلوكياته في جميع المناسبات من حلم وصبر ولين جانب، حتى إن أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - عندما سئلت عن خلقه - صلى

الله عليه وسلم – أجابت : "لقد كان خلقة القرآن" ، وهذا يوضح التوافق التام بين الأقوال والأفعال في حياته صلى الله عليه وسلم التي يجب أن تقدم للأجيال المسلمة المعاصرة بصورة ملائمة حتى يستمدوا منها المثال والقدرة ، في زمن تحاول فيه الثقافات الأخرى تقديم بعض سلوكيات مفكريها ، أو عظمائها محاولة منها لجذب الانتباه إليهم. ولقد اعتبر المستشرق المعروف (كارليل) الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أعظم شخصيات العصر الذي نعيشه ، ومعلوم أن هذه المنزلة لم تأت اعتباطاً بل كانت نتيجة لدراسة متأنية لسيرته وسلوكياته التي تفردت في عطائها الإنساني مع أتباع الدين الإسلامي والديانات الأخرى المختلفة .

وإن مبادئ هذا الدين الخالد الذي تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على محجتها البيضاء ، لا تزال أنوارها تشع ومثلها العظيمة تنتشر ، وأن الرسالة الملقاة علينا في أرض الحرمين الشريفين خاصة وجزيرة العرب عامة تحتاج بشدة إلى توضيح دور الثقافة الدينية التي انطلقت من هذه الديار المباركة وتفاعلت معها جميع حواضر العالم الإسلامي والعربي ، وما هذا البحث إلا محاولة متواضعة لتوضيح شيء من هذا الدور المهم .

الهوامش

(١) **الزركلي ، خير الدين:** *الأعلام* ، المجلد الأول ، ط ٧ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ص ٢٣٩ .

(٢) **ولي الله الدهلوي** ، *الإنصاف في مسائل الخلاف* ، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ط٣ ، دار النفائس.

(٣) *الأعلام*: ج ١ ، ص ١٤٩ .

(٤) **عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب:** *حياته وفكره* ، دار العلوم – الرياض ، ص ص ٣١ – ٣٢

(٥) **عبد الحي الكتاني** ، *فهرس الفهارس والإثبات ، معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات* ، عناية: د. إحسان عباس ، دار المغرب الإسلامي بيروت ، ص ٥١٤ .

(٦) Catalogue of The Arabic, Manuscripts in The, John Rylands Library, Manchester. BY *A.MINGANA, D.D.,1934, P.P. 115, 16*

(٧) الرسالة الأولى من الرسائل الشخصية ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنشورة باهتمام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، القسم الخاص: ص ٢٣٧

(٨) **أحمد بن حجر بن محمد آل طامي آل بن علي**، *الشيخ محمد بن عبد الوهاب*، *عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية*، تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ط٢، ١٣٩٣هـ (ص ٧٠ - ٧٤).

(٩) **السيد عبيد عبد الله مدني**، مقالة بعنوان الشيخ عبد الجليل برادة المدني، *مجلة المنهل*، عدد (مايو ويوليو عام ١٩٦٩م) ص ٣٥٧ - ٣٦٤

(١٠) **عبد الحي الكتاني**: *فهرس الفهارس والإثبات*، *معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، عناية: د. إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ج١، ص ٨٨.

(١١) **عبد القدوس الأنصاري**: الشيخ العالم إبراهيم الأسكوبي، *مجلة المنهل*، رمضان وشوال، ١٣٦٨هـ.

(١٢) **سليمان البستاني**: *إلياذة هوميروس*، ط٢، ١٩٦٦م بيروت، سلسلة الروائع، ص ٤٦.

(١٣) **عمر عبد الجبار**: *سير وتراجم*، ط٢، ١٣٨٥هـ، ص ص ٣٠٩ - ٣١٠

(١٤) من مؤلفات الشيخ **ابن حميد**: *هداية الناسك إلى أهم المناسك*، مطبوعات وزارة العدل، (ط ٧، ١٣٩٨هـ).

(١٥) **عمر عبد الجبار**، *سير وتراجم*، ص ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(١٦) مخطوطة: الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير، تأليف أحمد بن حسين بن محمد حسين الحبشي العلوي. وكذلك: فتح القوي في ذكر أسانيد حسين الحبشي العلوي، تخريج الشيخ عبد الله بن محمد غازي الهندي المكي، ط١، ١٤١٨هـ بعناية حفيده العميد متقاعد محمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسن الحبشي.

(١٧) **الدليل المشير**، ص ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(١٨) مصورة مخطوطة **الدليل** البشير، ص ص ١٢٨ - ١٣٠.

(١٩) مجلة *مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة*، العدد الثالث، شوال وذو الحجة ١٤٢٣هـ، ص ص ٤٧ -٩٦

(٢٠) **شهاب الدين الثناء محمود بن عبد الله الألوسي**، عارف حكمت، *حياته ومآثره*، تحقيق د. محمد العيد الخطراوي، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) سلسلة دراسات حول المدينة.

(٢١) لمزيد من المعلومات عن هذه المكتبة التي تعتبر من المكتبات الكبرى ذات القيمة التراثية في العالم لكونها تضم بين جنباتها عددا من المخطوطات النادرة في شتى العلوم والفنون، وتزخر بالجم من تراث العربية والإسلام في الفارسية والتركية والعربية والتي تزيد مخطوطاتها عن خمسة آلاف مخطوط، يمكن الرجوع إلى:

د. **عبد الرحمن بن سليمان المزيني**، مكتبة *الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر*، ط١، (١٤٠٢هـ - ١٩٩٩م)، ص ص ٧٢ - ٨١ وانظر *كذلك الأعلام*، ج ٢١، ص ١٤١ .

(٢٢) *فهرس الفهارس*، ج٢، ص ص ٧٢٢ - ٧٢٣ .

(٢٣) *المجلة العربية*، العدد السادس والعشرون، صفر ١٤٢٠هـ، يونيو ١٩٩٩م.

(٢٤) عن كتاب المعلمة مغربليّة: انظر **عاصم حمدان**، *صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة*، الشركة السعودية للتوزيع، ١٤٢٠هـ، ص ص ٢٦٩ - ٢٧٦,

(٢٥) **عباس صالح طاشكندي**، الطباعة في المملكة العربية السعودية، الرياض ١٤١٩هـ، ص ١٣٦ .

(٢٦) تعليقات المترجم على كتاب المستشرق: ك. سنوك هور قرنية، صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ترجمة محمود السرياني، ومعراج مرزا، ومراجعة: محمد إبراهيم علي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ج ٢، ص ص ٢٩٦ - ٢٩٧,

(٢٧) ومما يدل على ميل الشيخ رحمه الله للأسلوب العلمي في مناقشة القضايا الدينية: كتابه (التنبيهات) في إثبات الاجتياح إلى البعث والحشر، وقد قام بالتحقيق والتعليق على هذا الكتاب المهم الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار - عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر سابقا، وطبع في مطابع السعادة بمصر، كما عني الشيخ محمد أبو زهرة عناية كبيرة بمؤلفات الشيخ رحمه الله في المناظرة في كتابه المعروف "محاضرات في النصرانية".

(٢٨) C.Snouck - Hurgronr, Mekka in, The Latter Part of The 19th Century Translated by J.H. Monahan. LEYDEN, LONDON, 1931, P 173 .

(٢٩) *سير وتراجم*، ص ١٢١ - ١٢٧ ويذكر Monahan مترجم كتاب المستشرق (سنوك) بأن هناك عدة نسخ مطبوعة من الكتاب المعروف باسم 'إظهار الحق'، كما أن هناك ترجمة فرنسية للكتاب نفسه قام بها MANSU CARLETTI .

(٣٠) عبد الرحمن صالح عبد الله، *تاريخ التعليم في مكة المكرمة*، ط١، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م) ص ٩٢ .

(٣١) **الأعلام**: المجلد الأول، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣٢) **محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي**: *الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية*، مطبعة الموسوعات بالقاهرة، ١٣١٩هـ، القسم الثاني، ص٣ .

(٣٣) بينما يرى المؤرخ المعروف السيد أمين بن عبد الله مدني في مثل هذه المناظرات حرص مدرسة المدينة على قواعد اللغة العربية في أحرج ظروفها. انظر: أمين مدني، الثقافة الإسلامية وحواضرها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، ص ١٣٩ .

(٣٤) لمزيد عن هذه الشخصية العلمية انظر: **القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي**، *الشفا* بتعريف حقوق *المصطفى*، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٣٥) **عاصم حمدان**، *المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ*، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، القسم الأول، ص ٦٧ .

(٣٦) **عثمان بن سند البصري الوائلي**، *مطالع السعود بأخبار الوالي داود*، اختصار أمين بن حسن المدني، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٧١هـ المقدمة.

(٣٧) Mekka, in, The, Latter, Part of The 19TH, Century, Note, P, 289

(٣٨) **عبد الرحمن بدوي**، موسوعة *المستشرقين*، ط ١، ١٩٨٤م، بيروت، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٣٩) *الحماسة السنية الكاملة المزية*، القسم الأول، ص ٦ - ١٧ .

(٤٠) *المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ*، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، ص ٥٥ .

(٤١) **قاسم السامرائي**، *الإستشراق بين الموضعية والافتعالية*، منشورات دار الرفاعي (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ١١١ .

(٤٢) **مارتن فان برونسن**، *الكاتب العربي في إندونيسيا*، ترجمة د. قاسم السامرائي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، **الرياض** (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ص ٤٣ - ص ٤٥ .

(٤٣) *المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ*، ص ٧٢ .

(٤٤) يذكر الباحث إسماعيل زروخي أن ابن باديس التقى في المدينة شيخه حمدان بن الونيس وهذا انتقل إلى المدينة سنة ١٩٠٨م، انظر: إسماعيل زروخي، علماء الجزائر يستمد من جذور الإصرح من المدينة المنورة.

(٤٥) **عبد القدوس الأنصاري**، *السيد أحمد الفيض آبادي*، ط٢، ١٩٨٩م، ص ١٦ .

(٤٦) يذكر الزركلي أن الشيخ الإبراهيمي تأدب وتفقه في رحلة إلى المشرق سنة ١٩١١م ، وأقام في المدينة المنورة إلى سنة ١٩١٧م ، وقد تولى رئاسة جمعية العلماء في الجزائر بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن محمد باديس في عام ١٩٤٠م ، انظر: الأعلام ، ج٦ ، ص , ٥٤

(٤٧) **محمد حسين زيدان** ، *ذكريات العهود الثلاثة* ، مطابع الشرق الأوسط للأوفست - الرياض ، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ، ص ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤٨) *الأعلام* ٢ - ٣٥ .

(٤٩) **محمد بن أحمد الشهير بالفا هاشم الفوتي** ، *تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفُلاَّن* ، المطبعة الماجدية بمكة ١٩٥٤م.

(٥٠) **أحمد أمين مرشد** ، *طيبة وذكريات الأحبة* ، تقديم الشيخ عبيد الله كردي ، ج١ ، ص٥٥ .

(٥١) بتصرف عن كتابة فضيلة د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، الحرم الشريف الجامع والجامعة ، نادي مكة الثقافي ١٤١٧هـ ، ص ص ١٥ - ١٨ .

المصـــادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

الداغستاني ، عمر بن عبدالسلام ، ((تحفه الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة المنورة من أهل العصر)) نسخة مكتبة طوبقبو سراي ، استانبول ، رقم المخطوطة ٥١٩ .

العلوي ، أحمد بن حسن بن محمد حسين الحبشي ، *الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير*

المدني ، يحيى هاشم ، *الفلك المشحون* ، نسخة مصورة في مكتبة آل هاشم.

ثانياً: المراجع العربية

أبو سليمان ، عبدالوهاب إبراهيم ، *الحرم الشريف الجامع أو الجامعة* ، مكة : نادي مكة الثقافي ، ١٤١٧هـ .

العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع الهجري ، ط١ ، الطائف: دار الحارثي ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

الأنصاري ، عبدالقدوس ، *السيد أحمد الفيض آبادي* ، ط٢ ، مكان النشر - مطابع شركة دار العلم - جدة : ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

البتنوني ، محمد لبيب ، *الرحلة الحجازية* ، ط٢ ، مصر : مطبعة الجمالية ، ١٣٢٩هـ .

بدوي ، عبدالرحمن ، موسوعة *المستشرقين* ، ط١ ، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٤م .

البستاني ، سليمان ، *إلياذة هوميروس* ، سلسلة الروائع ، ط٢ ، بيروت: المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٦م .

بن علي ، أحمد بن حجر بن محمد آل طامي ، *الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية* ، ط٢ ، الرياض ، شركة مطابع الجزيرة ، ١٣٩٣هـ .

برونسن ، مارتن ، *الكتاب العربي في اندونيسيا* ، ترجمة : قاسم السامرائي، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

البيطار ، عبدالرزاق ، *حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر* ، تحقيق : محمد بهجة البيطار ، دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

الحسيني ، محمد بن راضي ، *الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري* ، ط١ ، المدينة المنورة : نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

حمدان ، عاصم ، *المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ* ، إصدارات نادي المدينة الأدبي ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

الخطراوي ، محمد العيد ، *مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة والموقع التاريخي* ، ط١ ، جدة : دار الأصفهاني ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

الرافعي ، عبدالعزيز أحمد ، *رحلتي مع المكتبات* ، مكة المكرمة : ط١ ، دار الرافعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

رفعت باشا ، إبراهيم ، *مرآة الحرمين* ، القاهرة: مطبعة دار الكاتب المصرية ، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م .

الزركلي ، خير الدين ، *الأعلام* ، المجلد الأول ، ط٧ ، بيروت: دار العلم ، ١٩٨٦م.

زيدان ، محمد حسين ، *ذكريات العهود الثلاثة* ، الرياض: مطابع الشرق الأوسط للأوفست ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

الساسي ، عبدالسلام طاهر ، *الموسوعة الأدبية* ، مكة المكرمة: دار قريش للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ .

السامرائي ، قاسم ، *الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية* ، ط٣ ، الرياض: دار الرفاعي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

السرياني ، محمد وآخر ، تعليقات على كتاب المستشرق سنوك هورقرنية .. صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، مراجعة : محمد إبراهيم على ، ج٢ ، مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

الشامخ ، محمد عبدالرحمن ، *النشر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ - ١٩٤٥م*، ط١ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، الرياض: مطابع نجد التجارية.

الشنقيطي ، محمد محمود بن التلاميذ التركزي ، *الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية* ، القسم الثاني ، القاهرة: مطبعة الموسوعات ، ١٣١٩هـ .

طاشكندي ، عباس صالح ، *الطباعة في المملكة العربية السعودية* ، الرياض : الناشر ، ١٤١٩هـ.

عبدالجبار ، عمر ، *سير وتراجم* ، ط٢ ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ١٣٨٥هـ .

العثيمين ، عبدالله ، *الشيخ محمد بن عبدالوهاب : حياته وفكره* ، الرياض : دار العلوم.

الفوتي ، محمد بن أحمد ، *تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان* ، مكة : المطبعة الماجدية ، ١٣٥٤هـ .

الفضلي ، محمد بن يحيى ، ترجمة الشيخ محمد إبراهيم الفضلي الختني المدني.

الكتاني ، عبدالحي ، *فهرس الفهارس والإثبات ومعجم البلدان والمشيخات والمسلسلات* ، عناية : إحسان عباس ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ص , ٥١٤

مدني ، أمين ، *الثقافة الإسلامية وحواضرها* ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م.

المدني ، أمين بن حسن الحلواني ، *نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان* ، تحقيق : مازن مطبقاني ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

محمد خليل المُرادي: *سلك الدُّرر في أعيان القرن الثاني عشر* ، مصر: بدون ، ١٣٠١هـ.

مرداد ، عبدالحميد ، *رحلة العمر* ، المرحلة الأولى ، مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي ، ١٤١٠هـ .

مرشد ، أحمد أمين ، *طيبة وذكريات الأحبة* ، جدة: دار البلاد للطباعة والنشر ،ج١ ، ١٤١٣هـ .

المصري ، أبوعبدالله محمد الأمير الكبير ، *سد الأرب في علوم الإسناد والأدب* ، تعليق : محمد بن ياسين بن عيسى الفاداني المكي ، ط٢ ، مصر : مطبعة حجازي ، د.ت.

المكي ، الشيخ عبدالله بن محمد غازي الهندي ، *فتح القوى في ذكر أسانيد السيد حسين الحبشي العلوي* ، عناية : محمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الهيلة ، محمد الحبيب ، *التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر* ، بيروت: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٤م.

الوائلي ، عثمان بن سند البصري ، مطالع السعود بأخبار الوالي داود ، اختصار : أمين بن حسن الحلواني المدني - تحقيق : محب الدين الخطيب ، القاهرة : بدون ، ١٣٧١هـ .

اليحصبي ، القاضي أبو الفضل عياض ، *الشفا بتعرف حقوق المصطفى* ، بيروت: دار الفكر ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٨م .

ثالثاً: الدوريات والمقالات

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: الجزء الحادي والأربعون ، جمادى الأولى ، ١٣٨٩هـ - ص ص ٤٣ - ٤٧ .

مجلة المنهل: رمضان وشوال ، ١٣٦٨هـ.

مجلة المنهل: عدد مايو ويوليو ، ١٩٦٩م.

مجلة الحج ، محرم ١٤٢٤هـ ، مارس - إبريل ٢٠٠٣م.

ملف خاص بما كتب في الصحف عن وفاة الوالد فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح - رحمه الله - نسخة أ. د . ناصر بن عثمان الصالح.

معلومات خاصة عن بدء تعليم الفتاة بالمدينة المنورة.

معلومات شخصية - غير مطبوعة - بقلم المعلمة زينب حسن مغربل - رحمها الله.

رابعاً: المصادر الإنجليزية

The Literature Of Medina in the Twelfth Century A.H (Eighteenth Century A.D).

A Thesis presented for the degree of Ph.D, Manchester University 1986.

Hurgronie, Snouck, 1931, Makkah In The Latter part of the 19 the Century.

Transtated by J.H. Monahan , Leiden , London.

A. Mingana, D.D.

Catalogue of the Arabic John Rylands Library, Manchester, 1934.

Withkam, J.J., Catalogue of the Arabic Manuscripts.

E. J. BRILL - LEIDEN, 1984.

خامساً : المراجع الفرنسية

Catalague de Manuscripts Arabes. Carlo Landberg 1883. Leide- E.J. - Brill.

The Circles of Learning in Mecca and Medina Mosques and Its Role in Building of the Cultural and Intellectual Life: The Periods of Twelfth, Thirteenth, and Fourteenth Centuries

ASEM HAMDAN AL-GHAMDI

Arabic Language Department, Faculty of Arts and Humanities

King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT: Islamic and Arabic civilization are well-known of combining the materialistic and the spiritual, the mind and the heart which has meant that these civilizations never suffered from disharmony or alienation between religion and learning and consequently between the study of Sharia and Literature, its refinement and reform. During this research we sought to bring to light evidence of that solid link between the various fields of knowledge through the most important intellectual establishments in the history of this civilization by which we mean symposiums at the two Holy Mosques. The intellectuals who have met in its courtyards have come from various fields of study – from the study of Sharia and literature finding no fault in the innovations of poetry or novels. This integration is important in light of the modern and intellectual reality in which our Ummah is living – an Ummah with a rich culture that doesn't fear the 'other' because its humanitarian heritage is spread across many Ages.

The research progressed to attesting to the role of the beating heart that is Makkah and Medina in that civilization, spreading into the Arab and Islamic civilizations rays of knowledge. It was at this very heart that ideas and visions combined from all centers of knowledge that were established in light of this civilization. This atmosphere of study and true learning contradicts with the notion of closure and isolation or event the idea of excluding the 'other', which is alien to our religion, scientifically and artistically integrated structure so too were women an effective force in building and developing society and spreading knowledge and learning especially in the ages that witnessed a decline in modern and intellectual advancement – it was therefore only fair to point to this role and consider its important features and effects.